

معرضها «نشوة العين» في «غاليري جانين ريبز»

لور غريب... أحلام طفلة

روان عز الدين

تلك المنمنمات الخطوط المعقدة، تتفكك تماماً في معرضها الفردي الجديد في «غاليري جانين ريبز» (الروشة - بيروت). كان لور غريب (1931) تفرط لوحاتها أمامنا، بعناصرها وأشكالها المتداخلة. الأكيد أن الزمن يفعل تأثيراً معكوساً معها، ولا يقوى إلا على مضاعفة تلقائيتها وفطريتها وشقاوتها. يعيدنا النظر إلى أعمال معرضها «نشوة العين» الذي يستمر حتى 14 كانون الثاني (يناير)، إلى البدايات (راجع الكادر)، لتتبع مسار تطوّر اللوحة ووصولها إلى هذه المرحلة.

قد لا تكون العودة مهمة سهلة، خصوصاً بالتنوع والتجريب، اللذين جعلنا من كل معرض تجربة جديدة، وإن كانت بعض العناصر ثابتة في اللوحة. ما يهمنا هو اليوم، رغم أن الزمن في لوحة الفنانة والناقدة اللبنانية مفتوح ومتواصل، ولا تترك له أن يمس لوحاتها بثقله. تفتت هذه السنوات الطويلة وتنثرها بشكل خيطان ملونة وخرز فاقع على لوحاتها الصغيرة. بقدرتها على اللهو، والتقاط الحالات من منبتها الطري،

من دون عنوان (حبر صيني على كانفاس - 5x5 سنتم - 2017)



في عز حداثة بيروت

جاءت لور غريب من الشعر إلى الرسم. في عز حداثة الشعر واللوحة والمسرح في بيروت، أنجزت لوحات شكلية متفردة مطع الستينيات. أعمال يغطي عليها اللون الأسود (الحبر الصيني)، لم تتشابه مع مجاليها حينها. معظم ذاكرتها البصرية تركز إلى كتبها المدرسية في الأبيض والأسود. كما أن الألوان كانت غالية حينها، كما تقول. هكذا كانت اللوحة عبارة عن زخرفة منفصلة من الخطوط العريضة والرفيعة، والرموز الصغيرة واللامتناهية التي تشبه الأرابيسك. تضمّنت أعمالها رموزاً وأقنعة آتية من العصور القديمة، وأشكالاً هندسية مستعيرة من المنمنمات تفصيلها ضمن قالب تجريدي. شيئاً فشيئاً، بدأت الألوان تدخل إلى اللوحة، التي «كنت أخلطها بالبهارات وبعض مكونات المطبخ لتغيير درجاتها» تقول لنا. كذلك بدأت تنفلس وتتكرر تلك الأطر، وإن كانت الخطوط المتعرجة والمتداخلة لا تزال تتسلل إلى لوحاتها اليوم. متاهات بصرية، شكلت البناء الأساسي للوحتها الأولى، التي كلما ازدادت تعقيداً، كلما عكست دفقاً وتلقائية.

مدونة جدة سعيدة

بيار ابي صعب

بين «لهفة» و«شهوة»... بين «جنس» استفزازي يتحدّى اللباقات البورجوازية بجذل وملعنة طفولية، و«حب» و«حنين» يعصران القلب... بين طرفي العمر إذ يلتقيان فوق هذا المسرح العبيث... تخرطش لور غريب وتلّون، تروي وتروي ثم تروي، في مشاهد ولقطات متجاورة، متشابهة، متداخلة، قصصها التي لا تنتهي. المحاربة القديمة لم تستسلم، بل تخوض هنا معركتها الجديدة حيث لا يجزّو كثيرون، وحيث لا ينتظرها أحد. بالحبر الصيني دائماً. وأيضاً بالخيوط الملونة، والأقمشة، والخرز ومواد غريبة أخرى تستعملها البنات في اللعب. تخوض معركة جديدة كأنها الأولى. لور الفنانة، الكاتبة، الناقدة، الشاهدة على السنوات الخسبة، وزمن صعود الأحلام والتجارب، مع رفيق عمرها الممثل والمسرحي النادر أنطوان كيراج الذي لا تتوقّف عن رسمه، ورسم نفسها، «الغرام». رغم المرض أحبك انت الواقع في الهذيان». كل الأبطال هو. كل البطلات هي. وهناك الأبناء والبنات والأحفاد. «كل الرجال الذين أرسمهم هم أنطوان. لم أعرف رجالاً غيره»، تقولها كمن يعترف بسرّ، مُطرقة كصبيّة أربكها الخجل. بحنان لا يخلو من المزاح مع الذات والضحك من العالم. لور الرسامة، الحكواتية التي اشتهرت بمنمنماتها. ترسم كمن يروي، ترسم لتروي. ترسم وتروي. تخلق شخصياتها ويديكوراتها المؤسّلة، تختار عوالمها المستقبلية، السانجة، السريالية. تخرطش على رسوماتها حكماً، ومونولوجات، وتأمّلات، وتعليقات تلخّص الحالة. مثلاً: «بين الواقع والتوقّع تتأرجح النوايا». تخاطب صورتها المنحنية فوق عز من الكائنات الصغيرة: «أنت الشبح الذي اغتال الواقع. 1939 - ...». إن الكتابة في معرض «نشوة العين»، جزء من اللوحة، أو الرسم، وعنصر مؤسس لها. «لن أحبك حتى يوم القيامة»، «النور يأتي من القلب»، وهكذا. العبارات، الماغوية الوقع، التي تزنّز اللوحات، ترصّعها، تشكل امتداداً لخطوطها... تنتابك رغبة في أن تنقلها كلها هنا، بحثاً عن قصيدة خفيفة. تستعيد الفنانة المشاعر الأولى، الحكاية الأصلية التي تولد منها كل الحكايات لور الأنثى حتى أدق تفاصيل منمنماتها. الزوجة، الحبيبة، الأم، الجدة. كل أطوار الحياة ومرآتها تجسدها بطلّة المعرض: الطفلة التي لم تكبر. «نتابني رغبة في أن أحلم! كان يا ما كان طفلة لا تتوقّف عن الحلم». هذا المعرض تختصره ربّما تلك اللوحة الصغيرة التي نثرت عليها تلامس وقلباً أحمر ورموزاً بحرية كالباطر وغيره، وكتابة بالأخضر وبالفرنسيّة: «أحلام طفلة صغيرة في الخامسة والثمانين». لور غريب جده سعيدة، تتمترس خلف لامبالاة الطفولة وسذاجتها وعبثها وعفويّتها. تستعين على العمر والألم والخوف، بالصور والوجوه والحكايات المستعادة إلى ما لا نهاية. بالمشاهد العائلية المكررة، في إحدى الرسوم، تقدّم الجدة أحفادها لأمتها في لعبة مستويات تكثّف الزمن. هكذا بلغت في مرحلتها الجديدة أعلى مراتب الطفولة. «وهدم الأطفال يعيشون طويلاً»، كتب الشاعر والفيلسوف الإيطالي جياكومو ليوباردي أوائل القرن التاسع عشر، هرباً من التقاليد الاستقرائية المحافظة. لور طفلة تعيش طويلاً لترسم حياتها. وتغلب الوقت. لقد عزّتها من المنمقات البصرية، وجاهرت بها على الملأ. كلا، ليست «عودة إلى الطفولة»، كما سيقول بعضكم، بل ذهاب إليها!

ولور أنثى «آتية من رحم العذاب». أنوثتها تمرّد خافت، ومواجهة هادئة للعالم. إنها فوضوية، مثل ريمون جبارة وأنسي الحاج ومارون بغدادي... المرأة الوحيدة بين شلة من الرجال، مثلهم هي «فوضوية محافظة»، تبقى في قلب منظومة القيم السائدة. لا تخرج عليها، أو تقطع معها. لذا تراها تدوّن يوميات جده مطمئنة، قصصها خلاصة حياة استثنائية، ومصير استثنائي. حكايات جيل شهد على صعود العصر الذهبي ثم أفوله. حكايات تراثقتها، في معارض سابقة، مع ابنها مازن كيراج، في ظل الأب دائماً. تحاورا بشأن أمور ومسائل ومراجع كثيرة، على مساحة اللوحة الواحدة. هو يشعر بحاجة إلى معرفة القصص، وسبر الأغوار، وفهم التفاصيل، وهي تعبت وتروي وتخرطش وتنمّن. هكذا تشبطنا معاً، وعينا بأسرار الزمن السعيد. هذه المرّة، لور وحدها، تتحاور مع أطراف العائلة. في المعرض الحالي، تأخذ اللوحات الكبيرة بالأبيض والأسود (تصل إلى المتر ونصف المتر، حبر صيني وتقنيات مختلفة على كرتون)، تلك التي يشكل سطحها حراً هائجاً، بمستوياتها السردية وكائناتها وديكوراتها وحشودها وخوابرها الفلسفية. ثم يضع الزائر في تفاصيل الجدار المقابل، حيث أعمال بمقاسات صغيرة (18*13 سنتم)، وجوه ملونة بمواد منفردة توجي من بعيد بكولاجات غريبة (تقنيات مختلفة على قماش). النساء كلهن لور، محاكاة بالأبناء والأحفاد. وفي وسط القاعة تتدلى من السقف سلسلة من الأعمال الصغيرة: سبّحات من رسوم الجيب (5*5 سنتم)، في قلب خشبية مترابطة تدور حول نفسها بلا كلال، كلما حاولت الامساك بها. بوتيرة واحدة، متكررة في كل ضربة قلم، تبدو الرسومات الصغيرة أشبه بتمارين على السعادة. فيض جارف من الاستكشافات التي تتقاطع مع شعر الهايكو، في احترالها ودائريتها، والتقاطها تفاصيل الحياة العادية البسيطة، بكثافة تحمل أبعاداً فكرية عميقة.

تخرج من معرض لور غريب في «غاليري جانين ريبز» على كورنيش بيروت، وإنّ تشعر بأنك تستطيع أن تطير. منمنمات الطفولة العابثة تمحو ندوب الحياة... وخفة الجدة السعيدة تحتال على أحكام الجاذبية. من أين للطفلة الثمانية كل هذه الهلّة؟ المعرض مستمر لأسبوعين... لا تفوتوه!